سعة التأليف

في الإسلام

من جملة مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق كتابان عظيمان تحدث مجلداتهما بدلالة اتساع نطاق التأليف في الإسلام أيام كان علماؤه منصرفين الى العلم والعمل يصرفون فيه أوقاتهم في خدمة الأمة وهما الكواكب الدراري في تبويب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري تأليف الإمام أبي الحسن علي بن عروة الحنبلي من أهل القرن التاسع وكتاب تاريخ دمشق لمؤلفه الحافظ أبي القاسم ابن عساكر من أهل القرن السادس.

هذان السفران الجليلان أبقى الزمان على طول نفس أحدهما سلسلة [illegible] وبعثرها فقد وجد من الأول مجلدات كثيرة صحيحة لا تقل عن ثمانين مجلداً متفرقة ولم يوجد منها الجزء الثاني والعشرون بعد المئة حيث لا يبعد أن الكتاب بلغ أكثر من مئة وخمسين مجلداً في التفسير والحديث والأصول والفقه الحنبلي وتراجم الحنابلة ومباحث في الفلسفة والكلام والتاريخ والأدب فهو دائرة معارف إسلامية حقيقية صيغت من جوانبها المختلفة كتابات علماء الحنابلة وكبار مجتهدي الأمة مثل شيخ الإسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية وابن رجب وغيرهم من الأعلام.

وأما تاريخ دمشق فهو الآن نسختان نسخة في عشرين مجلداً ونسخة وقعت في عشرة مجلدات ضخمة وشيء نافٍ وكان كتب في ثمانين مجلداً. ولقد جرى ذكره بين حافظ[1] مصر في عهده زكي الدين المنذري وطال الحديث في أمره واستعظامه فقال حافظ مصر: ما أظن هذا الرجل إلا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه وشرع في الجمع من ذلك الوقت وإلا فالعمر يقصر عن أن يجمع فيه الإنسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والتنبه. قال ابن خلكان: ولقد قال الحق ومن وقف عليه عرف حقيقة هذا القول ومتى يتسع للإنسان الوقت حتى يضع مثله وهذا الذي ظهر هو الذي اختاره وما صح له هذا إلا بعد مسودات ما يكاد ينضبط حصرها وله غيره تواليف حسنة

---

[1] وفيات الأعيان

وبعد فان الله تعالى وضع في افراد من كل امة خاصيات وملكات لا يشاركهم فيها الكثيرون وآتاهم همات يستخدمونها في نفع البشر ونفوساً لا تعرف الملل لادراك مقاصدها الشريفة . وكلما ارتقت الحضارة في شعب ينبغ فيه رجال يصرفون على الافادة والاستفادة مدة اعمارهم ويتمحضون لاحسان الخدمة حتى لا يكادون يرون السعادة واللذة والخير وكل ما تطمح اليه نفوس بني الانسان من المعالي الا فيما هم بسبيله

ومن امعن النظر في تراجم نوابغ العلماء ودرس حياتهم حق دراستها لا يلبث ان يزول عجبه اذا شاهد كيف كانوا يستغرقون في العلم ويغالون فيما اخذوا به نفوسهم فيزهدون في المال والبنين ويفطمون انفسهم عن حب المناصب والمراتب والزخارف والسفاسف

كنا ذات يوم نتذاكر لاحد اصدقائنا من الاطباء الذين صرفوا شطراً من حياتهم في الغرب اتساع التأليف في هذه الامة قديماً فقال لنا ما يمنعكم عن اكثر المؤلفين في الغرب اليوم من كثرة المصنفات فليس لاكثرهم منه الا النظر القليل يكتبه لهم اذكياء المحررين ممن عندهم ان يكونوا الموا بعض الالمام بما له علاقة في الموضوع الذي الفوا فيه حتى اذا انتهى الى آخره يدفعونه الى اساتذتهم فيجيلون فيه انظارهم ويخرجونه فيلمع منقحاً بالحواشي والتصحيح . ومنهم من يذكر ان تلميذه الآن عونه في التأليف وبعضهم يغضون مثل هذه الاشارة

وكان يرد على صاحبنا اسماء كثير ممن اشتهروا في الاسلام والفوا التواليف الممتعة الضخمة وعاشوا وحدهم في الاكثر يجمعونها وينسقونها ويصنفونها ويبيضونها ويسودونها وان ما الّف منهم كان مردوداً ان لم يرد الى سلك اهل العدل والصدق من المؤرخين وعلماء التراجم وبعضهم قد يكونون من اضدادهم وحاسديهم — عند ذلك اقتنع صاحبنا بصحة رأينا وقال ان حال الافرنجي اليوم يخالف حال سلفنا لان الافرنجي مهما بلغ من حبه للحكمة وتفانيه في خدمة المعارف يتسع له اوقات لراحته وادخال الفرح على قلبه لينشط الى متابعة السعي في عمله اما الشرقي فانه يفرط فيما خص له نفسه اما تعب ليس وراءه غاية الراحة ما بعده ورائها وراء

افتح اي كتاب من كتب التراجم والاخبار تراجم اهل القرون الستة الاولى للاسلام تسقط على مبلغ عناية رجاله بالتأليف وتوفرهم على النفع وقد يقال ان معظم ما خلفوه من كتبهم دو

ديني محض ولا أن لهم في العلوم [illegible] ولكن هذا القول لا يمنع أن [illegible] جماعة من المؤلفين المجيدين لم يكونوا [illegible] من علوم الدين والقليل من علوم الدنيا بل إنهم كانوا يتفننون بهذه العلوم بأسرها في آن واحد وما يبرع في هذه الأولى كان حاله يعلم في الأخرى

هذا أبو محمد بن حزم الظاهري أجل علماء الأندلس وأفاضلها وهو معدود في الطبقة الأولى بين فقهاء الدين ومع هذا فهذه تآليفه جامعة لما يحتوي من علوم الدنيا فقد قال فيه واحد من علماء الأندلس (١) إن تصانيفه في الفقه والحديث والأصول والملل والنحل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الأدب والرد على المخالفين نحو من أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة. وهذا شيء [illegible] لا نعلمه لأحد ممن كان في مدة الإسلام قبله إلا لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري فإنه أكثر أهل الإسلام تصنيفاً فقد ذكر أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جعفر الفرغاني في كتابه المعروف بالصلة وهو الذي وصل به تاريخ أبي جعفر الطبري الكبير أن قوماً من تلاميذ أبي جعفر حسبوا أيام حياته منذ بلغ الحلم إلى أن توفي سنة ٣١٠ وهو ابن ست وثمانين سنة ثم قسموا عليها أوراق مصنفاته فصار لكل يوم أربع عشرة ورقة ولابن جرير التفسير الكبير والتاريخ الذي هو أصح التواريخ [illegible] وقد روي أنه قال لتلاميذه هل تنشطون لتاريخ العالم [illegible] قالوا كم قدره فذكر نحو ثلاثين ألف ورقة فقالوا هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة [illegible] ويقول ماتت الهمم لأن تلاميذه لم يبتدروا [illegible] فماذا كان يقول لو عاش في هذا العصر ورأى انحطاط علوم الدين وعلوم الدنيا حتى يومه

ولقد جرت العادة في التأليف والإكثار منه [illegible] عند من تقدمه ومن تأخر عنه من المصنفين مثل ابن تيمية من أهل القرن الثامن فقد قال فيه أحد [illegible] إن له من المؤلفات والقواعد والفتاوى والأجوبة والرسائل والتعليق والأجزاء والتصنيف ولا أعلم أحداً من المتقدمين ولا من المتأخرين جمع مثل ما جمع ولا صنف نحو ما صنف ولا قريباً من ذلك مع أن تصانيفه كان يكتبها من حفظه وكتب كثير

---

(١) المعجب (٢) فوات الوفيات

[illegible] من الكتب . وقال [illegible] كان الامام [illegible] من الشعراء ومن الاصمعي [illegible] وجمع بعض الناس [illegible]

[illegible] القرن السادس [illegible] في [illegible] الناس [illegible]

[illegible] البصرة [illegible]

[illegible]

---

(١) [illegible] (٢) طبقات [illegible]

والجزء الواحد [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] ابن سينا [illegible] [illegible] [illegible] والفارابي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] في الطب والفلسفة والرياضة والحساب [illegible] [illegible] والموسيقى [illegible] [illegible] وله [illegible] [illegible] الشفاء في ست مجلدات . ومثله أبو بكر بن زكريا الرازي صاحب [illegible] [illegible] في الطب والعلوم العقلية والأدب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وأول [illegible] [illegible] من تأليف العرب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] مجلدات [illegible] [illegible] . ومن المكثرين من التأليف في [illegible] [illegible] الإسلامية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] التأليف [illegible] في [illegible] مجلدات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] النقل من اليونانية إلى العربية .

ومن المكثرين من التأليف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وعمرو بن بحر الجاحظ [illegible] [illegible] [illegible] الأخبار [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] .

ومن [illegible] [illegible] [illegible] من التأليف [illegible] الكلبي العالم بالنسب وأخبار العرب [illegible] [illegible] [illegible] المتوفى سنة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] صفحات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] صفحات [illegible] [illegible] [illegible] من أهل القرن الرابع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الفقهاء [illegible] المكثرين من التأليف محمد بن إدريس الشافعي [illegible] الأصول [illegible] والحديث [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

---

(١) الفهرست

وكان [illegible] السبتي من [illegible] والوعظ [illegible]
[illegible] من الكتب
التي [illegible] مصنفات أبي حاتم محمد بن
[illegible] تذكرة [illegible]
[illegible] وما ذكر منها
[illegible] وحديثين جزءاً
[illegible] أبي بكر بن [illegible] الحكيم الأصولي الأديب النحوي الواعظ قرية
مع [illegible] الكلام وهو أصول
[illegible] في كلام الله عز وجل
[illegible] احتج به
[illegible] صاحب [illegible] المشهورة
في [illegible] وكفر
[illegible] مع [illegible] الأربعين من عمره .

[illegible] ذكر في إجازة
[illegible] يحيى [illegible]
[illegible] عن المؤلفين أن
[illegible] بعضهم مالاً
[illegible] .

[illegible] والمطارفات
[illegible] الموضوعات [illegible]
[illegible] في [illegible] الشرق وغير ذلك
[illegible] الحكيم [illegible] كتاباً يسمى المرزمة
[illegible] من الفوائد الأدبية والأخبارية
[illegible]

[illegible] العلاء المعري ولهذا
[illegible] بالهمزة [illegible] حرف في

[illegible] الأعيان

الأدب قال ابن خلكان : وحكى لي من وقف على المجلد الاول بعد المائة من كتاب الصفوة والأدب وقال لا اعرف ما كان يعوزه بعد هذا العدد . ومن المكثرين القاضي الفاضل قال ابن خلكان : اخبرني احد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة امره ان مسودات رسائله في المجلدات والتعليقات في الاوراق اذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد وكان الحاجب المنصور ابو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة المدعو بالافطس اديباً جليلاً ومن تآليفه [1] الكتاب المظفري المسمى بالتذكرة في خمسين مجلداً . وكتب عبد اللطيف البغدادي الفيلسوف نحو مائة وستين كتاباً وذلك في سياحات له طويلة دامت نحو اربعين سنة ساحها بين العراق والشام ومصر والروم .

ومن المكثرين من التأليف والموسعين فيه احمد بن ابان بن السيد اللغوي الاندلسي يعرف بصاحب الشرطة وهو مصنف كتاب العالم في اللغة نحو مائة مجلد مرتب على الاجناس بدأ بالفلك وختم بالذرة وله في العربية وثلاثة كتب النحو . ومثله ابن سيدة الضرير صاحب المخصص والمحكم وغيرهما . ومن المكثرين من التأليف الحافظ ومن المكثرين ابو اسحق ابراهيم بن الأعلم البطليوسي له نحو خمسين تأليفاً . وبلغت تآليف محمد ابي طالب المرجي المتوفى سنة ٣٢٤هـ – ٢٧٢ تأليفاً وألف عيسى بن عمر النحوي نيفاً وسبعين مصنفاً في النحو قال سيبويه جمعها بعض اهل اليسار واتت عليها الحوادث ولم يبق في الوجود سوى كتابين [illegible] اهل العلم والطلاب الكتب بمثل هذه الكتب المتوارثة الايدي بالنسخ والحوادث .

ومن المكثرين من التأليف عالم الاندلس عبد الملك بن حبيب السلمي المتوفى سنة ٢٣٨ قال المترجم [2] رأيت في بعض التواريخ ان تواليفه بلغت الفاً ومن اشهرها كتاب الواضحة في مذهب مالك . ولأبي عمرو الداني القرطبي من علماء القرآن مئة وعشرون مصنفاً وكان يقول ما رأيت شيئاً قط الا كتبته ولا كتبته الا حفظته ولا حفظته فنسيته وآخر من له التآليف الكثيرة من ائمة الاندلس ابو الحسن القلصادي المتوفى سنة ٨٩١ وأكثر تصانيفه في الحساب والفرائض .

ومن عرفنا بسعة التأليف احمد بن ابي عبد الله البرقي في مذهب الامامية فان ما كتبه نحو مائة تصنيف عددها ياقوت في معجم الأدباء . ومن فقهاء الامامية ابو النضر العياشي ذكر ابن النديم اسماء كتبه في نحو صفحتين .

---

(١) الظل الممدود لسان الدين (٢) نفح الطيب

[illegible] أبي جعفر [illegible] شرح [illegible] دواوين [illegible] في القرن [illegible] كتاب [illegible] التأليف [illegible] شرح مطول ومتوسط ومختصر وحواشي [illegible] والأصول [illegible] والحكمة [illegible] لا يعرف [illegible] عصري [illegible].

ومن [illegible] من التأليف [illegible] القرن [illegible] عبد الرحمن [illegible] القرن [illegible] جلال الدين السيوطي [illegible].

[illegible] ثلاثة كتب في [illegible] في الطب [illegible] في الصنعة [illegible].

[illegible] من المكثرين من المؤلفين [illegible] العشرة [illegible] في الأقطار العربية [illegible] العشرة.

---

(١) بغية الوعاة للسيوطي (٢) [illegible]